العامية في الإعلام المغربي من منظور سوسيولساني:
الإعلانات المكتوبة أنموذجا

عبد الحفيظ اشريطية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس– فاس
المغرب

الملخص:

شهد الإعلام المغربي في السنوات الأخيرة تحولا لافتا في استعمال العامية المغربية، فقد أصبحت حاضرة بشكل متزايد، ليس في البرامج التلفزيونية والإذاعات والإعلانات فقط، بل حتى في البرامج الإخبارية الرسمية، الأمر الذي يرى فيه الكثير من المهتمين بالشأن اللغوي والثقافي تهديدا للغة العربية بالمغرب، في حين ينفي آخرون هذا التهديد ويربطون ذلك بحتمية الانفتاح على مختلف فئات المجتمع، وتحقيق تواصل حقيقي مبني على مبدأ "الاعتراف بالجميع"، دون النظر إلى نتائج ذلك على وضع اللغة العربية بصفتها لغة الوحدة والهوية.

يمكن التأكيد مبدئيا أن اعتماد العامية المغربية وسيلة اتصالية تواصلية في الإعلام الرسمي والإعلام الخاص بداعي مراعاة خصوصيات المتلقي أو أنها لغة الواقع المعيش والتخاطب الشعبي أمر بعيد عن الحقيقة والموضوعية، وذلك لسببين: الأول أن المغرب يزخر بعاميات ولهجات عديدة ومتنوعة، والثاني أن المغرب ليس حديث عهد باللغة العربية حتى تشكل عائقا تواصليا مع المجتمع المغربي عبر وسائل الإعلام.

يقتضي هذا الوضع في نظري تدخلا سوسيولسانيا صرفا يدرس الأسباب والنتائج، ثم الآثار المحتملة لتوظيف العامية في الإعلام المغربي على اللغة العربية بالمغرب من جهة؛ ثم على الهوية المغربية من جهة أخرى، وإن كانت السوسيولسانيات قد أكدت في مباحث الازدواجية اللغوية أنها لا ترتبط فقط بطريقة توظيف اللغة في المجتمع، وإنما هي ظاهرة تعكس الفروقات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتعيد إنتاجها. لذلك؛ فإن هذا البحث يسعى إلى الكشف أولا عن واقع الخيارات اللغوية للإعلام المغربي بين الفصيح والعامي، ثم عن خلفيات ونتائج هذه الخيارات على اللغة والعربية بالمغرب وهوية المغاربة. ولبلوغ هذه الأهداف ارتأينا الانطلاق من عدة إشكالات يمكن إجمالها في ما يلي:

- هل يشكل استخدام العامية في الإعلام المغربي تهديدا لمكانة العربية الفصيحة بصفتها لغة رسمية ووطنية؟
- إلى أي حد يعكس اختيار اللغة (فصيحة أم عامية) في الإعلام المغربي توجها سياسيا أو إيديولوجيا؟
- كيف يمكن تحقيق توازن لغوي في الإعلام المغربي يحترم العربية الفصيحة ولا يقصي العامية؟
- ما تأثير هذا الازدواج اللغوي على المتلقي من حيث الفهم والانتماء والهوية؟

الكلمات المفاتيح: العربية الفصيحة – العامية – الإعلام – الهوية – الثقافة – السياسة اللغوية – السوسيولسانيات.

Abstract:

In recent years, Moroccan media has witnessed a remarkable shift toward the use of the Moroccan vernacular (darija). This variety has become increasingly present not only in television programs, radio broadcasts, and advertisements, but even in official news bulletins. Many scholars and cultural observers view this trend as a threat to the status of the Arabic language in Morocco, while others reject such concerns, arguing instead that it reflects the necessity of reaching out to all segments of society and achieving genuine communication based on the principle of "recognition for all", regardless of its consequences for Arabic as a language of unity and identity.

It can be asserted, from the outset, that the use of Moroccan vernacular as a communicative medium in both public and private media – under the pretext of reflecting regional specificities or representing the "language of daily life" – is far from accurate or objective. This is for two main reasons: first, Morocco is home to a rich diversity of dialects and linguistic varieties; and second, Arabic has long been deeply rooted in Moroccan society, such that it cannot be considered a barrier to communication through media channels.

This situation, in my view, calls for a purely sociolinguistic intervention that examines the causes, implications, and potential effects of employing the vernacular in Moroccan media – both on the Arabic language in Morocco and on Moroccan identity as a whole. Sociolinguistic studies of diglossia have shown that language variation is not merely about how language is used in society, but rather a reflection – and reproduction – of underlying social, cultural, and political differences.

Accordingly, this research aims first to explore the linguistic choices made by Moroccan media between Standard Arabic and vernacular Arabic, and second, to uncover the ideological and sociocultural motivations and consequences of these choices for both the Arabic language and Moroccan identity. To achieve these objectives, the study is guided by the following central questions:

- ✓ Does the use of Moroccan vernacular in media threaten the status of Standard Arabic as Morocco's official and national language?
- ✓ To what extent does the choice between Standard Arabic and vernacular Arabic in the media reflect political or ideological orientations?

- ✓ How can linguistic balance be achieved in Moroccan media in a way that respects Standard Arabic without marginalizing the vernacular?
- ✓ What is the impact of this linguistic duality on the audience in terms of comprehension, belonging, and identity?

Keywords: Standard Arabic – Vernacular Arabic – Media – Identity – Culture – Language Policy – Sociolinguistics

مقدمة:

عرف المشهد الإعلامي المغربي خلال السنوات الأخيرة تحوّلاً لافتاً في خطابه اللغوي، تمثّل في انفتاحه المتزايد على الدارجة المغربية إلى جانب اللغة العربية الفصيحة التي ظلت لعقود اللغة المهيمنة في الصحافة والإذاعة والتلفزيون. هذا التحول لم يأتِ صدفة، بل هو انعكاس لتغيرات اجتماعية وثقافية عميقة تعرفها البلاد، حيث باتت الوسائط الإعلامية تسعى إلى التقرب من الجمهور بلغة الحياة اليومية التي يفهمها الجميع، وقد أثار هذا التوجه نقاشاً واسعاً بين مؤيد يرى فيه وسيلة لتعزيز التواصل والديمقراطية اللغوية، ومعارض يعتبره تهديداً لوحدة اللغة العربية ومكانتها الرمزية. وبين الموقفين، يستمر الإعلام المغربي في تجربة التعدد اللغوي بوصفه مرآةً للتنوع الثقافي والهوياتي للمجتمع، ومحاولة مواكبة التحولات التي تعرفها الساحة الإعلامية الرقمية والعالمية.

1. الإطار النظري والسوسيولساني لظاهرة الازدواجية اللغوية في المغرب

1.1. مفهوم الازدواجية اللغوية في الدراسات اللسانية والسوسيولسانية

الازدواجية اللغوية مفهوم سوسيولساني يُشير إلى وجود نوعين لغويين متميزين داخل جماعة لغوية واحدة، بحيث يؤدي كل منهما وظائف محددة في مواقف تواصلية مختلفة. وهي ظاهرة تتسم بتوزيع وظيفي قائم على التفاوت في المكانة الاجتماعية والاستعمال، إذ تُستخدم إحدى الصيغ في المجالات الرسمية والكتابية والتعليمية، بينما تُوظَّف الأخرى في الممارسات اليومية غير الرسمية. وتُعد الازدواجية اللغوية من مظاهر التنوع الداخلي للغة، إذ تكشف عن العلاقة بين البنية اللغوية والنظام الاجتماعي، وعن كيفية تكيّف المتكلمين مع تعدد المستويات اللغوية تبعًا للسياق والمقام.

تُبرز ظاهرة الازدواجية اللغوية أيضا ذلك التداخل الحادث بين العوامل اللسانية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي جعل منها مجالًا خصبًا لدراسة دينامية اللغة ووظيفتها الرمزية في إنتاج المعنى والتفاعل الاجتماعي. ففي السياق العربي مثلا، تتجسد الازدواجية اللغوية في التعايش بين العربية الفصيحة والعاميات المحلية حيث ترتبط الأولى بالمجالات الرسمية والتعليمية والإعلامية، بينما تُستخدم الثانية في الحياة اليومية والتواصل الشعبي. إن الازدواجية بهذا المعنى ليست مجرد تنوع لغوي، بل هي نظام تواصلي مركّب يعكس أنماط التفاوت والتمييز داخل البنية الاجتماعية للغة.

كان تشارلز فرجسون Charles A. Ferguson قد لاحظ أن الأشكال اللغوية في المجتمعات نوعان، النوع الأول يكون عادة على شكل لهجة فصيحة تسمّى الشكل اللغوي الأعلى (High Variety)، أما النوع الثاني فيأخذ شكل اللهجة العامية، ويسمى الشكل اللغوي الأدنى (Low Variety)[1].

من هذه الملاحظة انطلق فرجسون معرفا الازدواجية اللغوية بأنها وضع لغوي ثابت نسبيا، يكون فيه – بالإضافة إلى اللهجات الأولية للغة التي يمكن أن تحوي لهجة قياسية أو لهجات قياسية إقليمية – ضربٌ لغويٌ غايةٌ في التشعب والتركيب والتصنيف، يكون هو الأداة لنقل حجم كبير ومعتبر من التراث العلمي المكتوب، إما في فترة مبكرة أو في مجتمع لغوي آخر، وغالبا ما يُتعلّم هذا الضرب بواسطة التعليم النظامي ويُستخدم في معظم الأغراض الكتابية والخطابية الرسمية، ولكنه لا يُستخدم بواسطة أي قطاع من قطاعات المجتمع في المحادثات المعتادة. أما فيشمان فينظر إلى الازدواجية اللغوية على أنها الأنموذج الذي تتميّز فيه ثقافة واحدة بلغتين أو أكثر، وتستخدم كلا منها لأغراض خاصة جدا[2].

وفي تعليق أولي على هذين التعريفين، يؤكد محمد عفيف أن المقصود بالازدواجية اللغوية هو "وجود أكثر من مستويين للغة في مجتمع واحد، مستوى رسمي أو فصيح، ومستوى غير رسمي أو عامي أو دارج، بحيث يُستخدم كل مستوى لأغراض وأهداف معينة. وخير ما يمثل هذه الظاهرة، حال اللغة العربية الفصيحة بجوار عدد من اللهجات العربية بالوطن العربي في العصر الحاضر"[3].

يصدق هذا التعليق، فقط، على ما أورده فرجسون حول ازدواجية اللغة حين قال بتعدد مستويات اللغة الواحدة ولم يقل بتعدد اللغات. أما بالنسبة لجوشوا فيشمان Joshua Fishman فقد برر استخدام لغات مختلفة في المجتمع الواحد والعمل على المحافظة عليها، بكون هذه اللغات تخدم وظائف محددة مختلفة عن الوظائف التي تعتبر مناسبة للغة الأخرى. فلكل لغة من هذه اللغات استخدام معين، وهذا ما يقود إلى المحافظة عليها. كما أن كل لغة من هذه اللغات مرتبطة بمجموعة من القيم أو الاتجاهات التي تختلف عن قيم واتجاهات اللغات الأخرى، وهذه المجموعات من القيم والاتجاهات لا تكون متضاربة فيما بينها، ولكنها على العكس من ذلك، يتمم بعضها بعضا، والانفصال بين هذه اللغات يكون انفصالا وظيفيا. فاللغة العليا تكون مرتبطة بالوظائف الدينية والتعليمية ومظاهر الحضارة العليا المختلفة، أما اللغة الدنيا فإنها تخدم وظيفة التحدّث اليومي وما يرتبط بها[4].

بناءً على مفهوم فيرغسون للازدواجية اللغوية، قام فيشمان بتطويره وتعديله على نطاق أوسع. ووفقًا له، لا تنطبق الازدواجية اللغوية فقط على وجود اختلافات بين الصيغتين العليا والدنيا للغة واحدة، بل تشمل أيضًا اللغات غير المرتبطة ببعضها أو لغتين مختلفتين. في هذه الحالة، يركز فيشمان على تصنيف كلتا اللغتين أو الصيغتين المعنيتين حسب وظائفها[5].

لقد انطلق جوشوا فيشمان من التصور الكلاسيكي الذي قدّمه فيرغسون لمفهوم الازدواجية اللغوية، وسعى إلى توسيع هذا المفهوم ليتجاوز حدود اللغة الواحدة، فبينما حصر فيرغسون الازدواجية في وجود تنوعين لغويين داخل النسق ذاته، أحدهما "أعلى" يُستخدم في المواقف الرسمية، والآخر "أدنى" يُستعمل في الحياة اليومية، رأى فيشمان أن هذا التعريف يظل محدودًا من حيث النطاق الاجتماعي والوظيفي، لذلك؛ اقترح أن الازدواجية يمكن أن تشمل حالتين لغويتين مختلفتين تمامًا، حتى وإن لم تكونا من أصل واحد، شريطة أن تُوزَّع وظائفهما داخل المجتمع توزيعًا تكامليًا، وهكذا؛ تصبح الازدواجية عنده ظاهرة سوسيولسانية أوسع، تتعلق بتقسيم الأدوار التواصلية بين لغتين أو مستويين لغويين بحسب المجال والمقام الاجتماعي. ويُبرز هذا التوسيع البعد الوظيفي للّغة باعتبارها أداة لتدبير التواصل في سياقات اجتماعية متباينة، مما يجعل مفهوم فيشمان أكثر شمولًا في تحليل العلاقات اللغوية داخل المجتمعات المتعددة اللسان

يقدم فيرغسون مجموعة من الخصائص التي أوضح من خلالها ظاهرة الازدواجية اللغوية، وهي كالآتي:

1. **الوظيفة**: من أهم سمات ازدواجية اللغة مسألة الوظيفة، ففي المجتمع الذي تسود فيه ازدواجية اللغة، توجد صيغتان مختلفتان للغة واحدة؛ تُسمى هاتان الصيغتان بالصيغة العليا (H) والصيغة الدنيا (L).

2. **الحضوة والاعتبار**: في المجتمعات المزدوجة اللغة، يسود اعتقاد شخصي بأن اللهجة العليا (H) أكثر مكانةً وتفوقًا واحترامًا، بينما تُعتبر اللهجة الدنيا (L) أدنى شأنًا، بل إن البعض ينكر وجودها أحيانًا، ويتجلى ذلك في سلوك معظم المتعلمين من العرب والهايتيين الذين يرون أنه لا داعي لاستخدام اللهجة العامية (L) على الرغم من استخدامهم لها في أحاديثهم اليومية، وفي إندونيسيا، يظهر هذا أيضًا في اعتبار اللغة الإندونيسية المعيارية أكثر مكانةً من اللهجات الإندونيسية غير المعيارية.

3. **التراث الأدبي**: قد يستخدم الأدب والشعر الشعبي اللهجة المحلية، لكن العديد من أفراد المجتمع يؤكدون أن الأعمال الأدبية الحقيقية للأمة هي المكتوبة اللغة الفصيحة فقط.

4. **الاكتساب**: فيما يتعلق باكتساب كلتا اللهجتين، يمكن تتبع مسارهما على النحو التالي: يمكن اكتساب اللهجة الفصيحة (H) من خلال دراستها في التعليم الرسمي، بينما يمكن اكتساب اللهجة العامية (L) من خلال التفاعل الاجتماعي مع العائلة والأصدقاء وما شابه ذلك، أما من حيث الاستخدام، فلا تُستخدم اللهجة الفصيحة دائمًا، ويتم التحكم فيها دائمًا بقواعد النحو والصرف عند تعلمها. في المقابل، تُستخدم اللهجة العامية بانتظام في التفاعلات اليومية.

5. **المعيارية**: باعتبار اللغة الفصيحة(H) لغة مرموقة، فعادةً ما تخضع للتوحيد القياسي من خلال التدوين الرسمي، وقد يتخذ هذا التدوين أشكالاً متعددة، مثل القواميس، وقواعد اللغة، وكتيبات النطق، وكتب القواعد الخاصة باستخدام اللغة الصحيحة والسليمة. في المقابل، نادرًا ما يُلتفت إلى اللهجة (L)، وحتى إذا وُجد أي تدوين لها، فعادةً ما يقوم به باحثون من مجتمعات لغوية أخرى يتحدثون لغات مختلفة.

6. **الاستقرار**: في المجتمعات ثنائية اللغة، استمر وجود تنوعات لغوية لفترة طويلة، وقد أدى ذلك إلى استقرار اللغتين الفصيحة والعامية. ومع تطور اللغة، كان من الشائع أن تستعير اللغة العامية مفردات من اللغة الفصيحة، غير أن استخدام مفردات اللغة العامية في اللغة الفصيحة أقل شيوعًا، لأنها في العادة لا تُستخدم إلا عند الضرورة فقط.

7. **الصواتة**: في علم الأصوات، تُشكل الأنظمة الصوتية لكل من اللهجتين العليا والدنيا نظامًا صوتيًا واحدًا، إلا أن النظام الصوتي للهجة العليا يُعد نظامًا أساسيًا، بينما يُعتبر النظام الصوتي للهجة الدنيا نظامًا فرعيًا. ويُلاحظ أن النظام الصوتي للهجة العليا أقرب إلى الأشكال العامة التي تكمن وراءه في اللغات بشكل عام، في حين أن النظام الصوتي للهجة الدنيا أبعد عن هذه الأشكال الأساسية.6

الازدواجية اللغوية إذن؛ ظاهرة سوسيولسانية معقّدة تعبّر عن وجود مستويين لغويين متمايزين داخل النسق اللساني الواحد، يُخصَّص كلٌّ منهما لأداء وظائف تواصلية محدّدة وفقًا للمقام الاجتماعي والسياق التداولي، وتُجسّد هذه الظاهرة شكلاً من أشكال التوزيع الوظيفي للغة، إذ تُستعمل الصيغة العليا في المجالات الرسمية والتعليمية والمؤسسية ذات الطابع المعياري، في حين تُوظَّف الصيغة الدنيا في التواصل اليومي غير الرسمي. وتكشف الازدواجية اللغوية أيضا عن البنية الطبقية للّغة وعن علاقتها بالتراتب الاجتماعي والقيمي، كما تبرز دينامية المتكلمين في تكييف استعمالهم اللغوي تبعًا للمجال التداولي ومتطلبات الموقف الخطابي. ومن ثمّ؛ تُعدّ الازدواجية بنية تواصلية مستقرة نسبيًا تعكس التفاعل بين البعد البنيوي والبعد الاجتماعي للّغة، وتُبرز في الآن ذاته دور اللغة في تنظيم العلاقات الرمزية والتفاعلية داخل المجتمع اللغوي الواحد.

2.1. إشكالية المعيارية في الدارجة المغربية

يتميّز الوضع اللغوي بالمغرب بظاهرة ازدواجية لغوية واضحة تتجلى في التعايش بين العربية الفصيحة والدارجة المغربية داخل النسق الاجتماعي ذاته، حيث يؤدي كلٌّ منهما وظائف متميزة وفق السياقات التواصلية. فالعربية الفصيحة تُعدّ اللسان الرسمي للدولة ولغة التعليم والإدارة والإعلام المكتوب والخطاب الديني، وتحظى بمكانة رمزية عالية باعتبارها وعاء الهوية الثقافية والدينية، أمّا الدارجة المغربية، فتُستخدم أساسًا في التواصل اليومي الشفهي داخل الأسرة والمجتمع، وتمثل أداةً للتعبير العفوي وللتفاعل الاجتماعي المباشر.

يكشف هذا التوزيع الوظيفي عن علاقة جدلية بين البنية اللغوية والنظام الاجتماعي، إذ تُجسّد العربية الفصيحة اللغة المعيارية المرتبطة بالمجالات العليا، في حين تُعبّر الدارجة عن اللغة التداولية المرتبطة بالمعيش اليومي، وهي الازدواجية تعكس – في الأصل- تداخل العوامل التاريخية والسياسية والثقافية في تشكيل الممارسات اللغوية، وتُبرز مرونة المتكلمين في الانتقال بين المستويين بحسب المقام والسياق، ويُنظر إلى هذا الوضع بوصفه نظامًا تواصليًا مركبًا يعكس التراتب الاجتماعي للغة ويُعبّر عن تعدد الهويات اللغوية داخل المجتمع المغربي. لكن السؤال الذي أفرزه النقاش المحتدم بين المفكرين والمتخصصين في الشأن اللغوي بالمغرب في ظل الدعوة إلى "ترقية" الدارجة المغربية و"تكليفها" بوظائف اللغة المعيارية (اللغة العربية الفصيحة) هو: ما مدى معيارية الدارجة المغربية؟ وهل تُمكّنها خصائصها التركيبية والفونولوجية من بلوغ مرتبة المعيارية؟

تُعدّ المعيارية اللغوية أحد العوامل الأساسية التي تحدد قدرة أي لغة أو لهجة على أداء وظائفها الرسمية والتواصلية بفعالية، وفي حالة الدارجة المغربية، يبرز غياب معيار ثابت ومستقر كعائق رئيس أمام تمكينها من القيام بدور متكامل في مجالات مثل الإعلام والتعليم. وعلى الرغم من ذلك يؤكد كثير من الباحثين أن الدارجة المغربية حتى إن لم ترق إلى المعيارية فإنها تسهم بشكل كبير في تعلّم وتعليم اللغة العربية نظرا لصتها الوثيقة بها، وبخاصة في الجانب الصوتي، داعين إلى توحيد النظام الكتابي بينهما، الأمر الذي سيعزز الانسجام بين هذين المستويين اللغويين

ويحول دون حدوث قطيعة لغوية وثقافية. ولتحقيق ذلك يشترط هؤلاء الباحثون أن تظل الدارجة قريبة – قدر الإمكان – من النظام الإملائي للعربية الفصيحة، وذلك للأسباب الآتية:

أولًا: لأن العربية الفصيحة والدارجة ستظلان تتعايشان دائمًا في العالم العربي، لذا من المنطقي تسهيل تعلّم الفصيحة من خلال الدارجة، بحيث تكون هذه الأخيرة خطوة تمهيدية نحو اللغة المعيارية.

ثانيًا: يعكس النظام الإملائي العربي الأصل الحقيقي للدارجة، إذ إن جذورها تعود في الغالب إلى العربية الكلاسيكية، ومن ثمّ فالحفاظ على الحروف العربية هو تأكيد لهويتها اللغوية.

ثالثًا: ينبغي أن تكون الدارجة سهلة التصنيف ضمن عائلة اللغات السامية، التي تنتمي إليها العربية، سواء من حيث طبيعتها الاشتقاقية أو من حيث التمييز بين النصوص المشكولة وغير المشكولة، وهو ما يتحقق بالحفاظ على النظام الإملائي العربي.

رابعًا: إن وجود جسر إملائي واحد بين الدارجة والفصيحة يجنّب المتحدثين بالدارجة فقط، وكذلك المتحدثين ثنائيي اللغة، حالة الارتباك التي قد تنتج عن استخدام نظامين كتابيين مختلفين للغتين متقاربتين جدًا.

خامسًا: إن اعتماد الإملاء العربي في كتابة الدارجة يفيد لاحقًا في تعلّم العربية الفصيحة والكلاسيكية، خاصة في قراءة النصوص الدينية وفهم القرآن الكريم.

سادسًا: يجب استخدام القواعد الإملائية العربية نفسها لتمثيل الأصوات المتشابهة بين الدارجة والعربية الفصيحة، ضمانًا للاتساق والاستمرارية بين المستويين اللغويين.[7]

إن ما يقصده هؤلاء الباحثون بهذه الشروط لا ينحصر فقط في النقل الصوتي (transcription Phonetic)؛ ذلك النظام الرمزي الذي يوفّر مجموعة من الوسائل الكتابية التي تمكّن أفراد جماعة لغوية معينة من تدوين النطق الفعلي للكلام المنطوق بدقة متفاوتة، وإنما يقصدون أيضا النظام الإملائي (orthographic system)، باعتباره نظاما لا يقتصر على تمثيل الأصوات فحسب، بل يميل إلى أن يكون نظامًا لغويًا قائمًا بذاته، يتمتع باستقلال نسبي عن اللغة المنطوقة، ويفرض تقاليد كتابية خاصة، وهذا ما لم يتوافر لدى الدارجة المغربية، فهي تُكتب بعدة طرائق مختلفة:

أولًا: تُنقل أحيانًا باستخدام الحروف اللاتينية،

ثانيًا: تُنقل أحيانًا بالحروف العربية في بعض الكتيّبات والحوارات المسرحية وقصائد الملحون ومجموعات تعليم السياقة وغيرها.

ثالثًا: تُكتب أحيانًا وفق النظام الإملائي العربي المعياري.

رابعًا: وهناك من يكتبها بالحروف العربية مع مراعاة خصوصياتها الصوتية والمورفولوجية، أي بإدخال تعديلات طفيفة على الإملاء لتتناسب مع خصائص الدارجة دون الابتعاد عن القاعدة العربية الأصلية[8].

إن كتابة الدارجة بحروف اللغة العربية، أو وفق النظام الإملائي العربي المعياري، لم يحد من "خطر" كتابتها بالأحرف اللاتينية، ولن يفعل، على الرغم مما يمكن أن يقدمه الباحثون من مسوغات وأسباب تفرض — حسب ادعائهم – اختيار الحروف اللاتينية في كتابة الدارجة المغربية، وهي كما يلي:

أولًا: تحتوي الدارجة المغربية على أصوات (فونيمات) أكثر من تلك الموجودة في العربية الكلاسيكية، كما أن الحركات القصيرة لا تُكتب عادة في النظام الإملائي العربي، في حين يمكن تمثيلها بدقة في النظام اللاتيني، مما يجعل الكتابة اللاتينية أكثر وضوحًا من حيث النطق.

ثانيًا: عند استخدام الحروف العربية، تصبح عملية الترجمة الحرفية إلى الإنجليزية صعبة أو ملتبسة، لأن العربية تُكتب من اليمين إلى اليسار بينما الإنجليزية من اليسار إلى اليمين، وهو ما قد يؤدي إلى ارتباك في القراءة والفهم أو في ترتيب الجمل أثناء الترجمة.

ثالثًا: يُفضَّل استخدام الحروف اللاتينية لأنها أكثر سهولة في الوصول والفهم، خاصةً لأولئك الذين لا يعرفون اللغة العربية، سواء كانوا باحثين أجانب أو متعلمين غير ناطقين بالعربية، وبذلك تصبح النصوص أكثر انفتاحًا وشمولًا من حيث الفئة القارئة.[9]

يمكن التسليم باعتماد الحروف اللاتينية لمناقشة المسائل الصوتية والفونولوجية، خاصةً عندما يكون من الصعب شرح بعض الظواهر باستخدام الحروف العربية، إلا أن هذا الاختيار يثير مشكلات من وجهة نظر تربوية، فالتنوع في اللهجات يجعل أنظمة النقل الصوتي اللاتيني متعددة ومربكة، خاصةً بالنسبة للمتعلمين الذين درسوا العربية الفصيحة (غير الناطقين بها). في هذه الحالة، لا يمكن للمتعلم أن يصل إلى مستوى أعلى من مستوى الناطق الأمي الأصلي بالدارجة، إذ لن يتعرض أبدًا إلى أسلوب الكلام المتعلم في الدارجة. علاوة على ذلك؛ يفترض استخدام الحروف اللاتينية أن الدارجة مستقلة تمامًا عن العربية الفصيحة، وبالتالي يوحي بعدم وجود أي صلة بين المستويين اللغويين، كما أن المتعلمين أو المتحدثين بالدارجة لا يستطيعون الاستفادة من خبرتهم السابقة في تعلم الإملاء العربي للفصحى. أما من الناحية اللغوية والثقافية، فإن استخدام الحروف اللاتينية لا يُعرّف المتعلم على الثقافة العربية، بما فيها الخط العربي في الفن والعمارة الإسلامية، ولا يعرّفه على النظام الإملائي العربي الذي يُعرّف العرب بهويتهم. وتجدر الإشارة إلى أن اللافتات في الشوارع، محطات القطارات والحافلات، والبطاقات السعرية لا تُكتب بهذه الطريقة، أي أن النقل الصوتي اللاتيني لا يعكس الواقع اليومي للاستخدام الكتابي للعربية.[10]

يتضح من خلال ما سبق أن كتابة الدارجة المغربية بالحرف اللاتيني تمثل خطرًا حقيقيًا على هويتها اللغوية وصلتها التاريخية بالعربية الفصيحة، فاعتماد الحرف اللاتيني لا يقتصر على كونه اختيارًا تقنيًا أو عمليًا، بل يحمل أبعادًا سوسيولسانية عميقة تمس جوهر الانتماء اللغوي والثقافي، إذ يؤدي هذا التوجه إلى فصل الدارجة عن جذورها السامية، ويُضعف وعي المتكلمين بارتباطها البنيوي والمعجمي بالعربية، مما يُسهم في تكريس قطيعة رمزية ومعرفية بين المستويين اللغويين. كما أن غياب معيار إملائي عربي للدارجة المغربية لا يبرر تبني نظام كتابي أجنبي قد يفضي إلى تفكك الهوية اللغوية وتشتت المرجعية الثقافية، وهو ما يستدعي إعادة التفكير في سبل تطوير كتابة الدارجة ضمن الإطار الإملائي العربي حفاظًا على استمرارية النسق اللغوي العربي ووحدته الرمزية.

2 توظيف الدارجة المغربية في الإعلام المغربي

1.2 حضور الدارجة المغربية في المواد الإعلانية المكتوبة: دراسة تطبيقية

يُعدّ الخطاب الإشهاري المكتوب مجالًا خصبًا للدراسة السوسيولسانية لما ينطوي عليه من توظيف واعٍ للغة في بناء الرسائل الإقناعية والتأثير في المتلقي، ومع التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدها المغرب خلال العقود الأخيرة، برزت الدارجة المغربية باعتبارها أداة تواصلية مركزية في الإعلانات الإشهارية، بعدما كانت الفصيحة تحتكر المجال الإعلامي الرسمي. هذا التحول اللغوي لا يُفهم فقط بوصفه اختيارًا أسلوبيًا أو تواصليًا، بل ينعكس من خلاله البعد السوسيولساني المرتبط بتغير مواقف المتكلمين من اللغة، وبالتحولات القيمية التي أعادت تشكيل العلاقة بين اللغة والسوق والمجتمع.

انطلاقًا من هذا المعطى؛ ستعتمد هذه الدراسة منهجًا مقارنًا يروم الموازنة بين الدارجة المغربية المستعملة في الخطاب الإشهاري المكتوب والبنية اللغوية للعربية الفصيحة من خلال دراسة ثلاثة أمثلة تطبيقية، قصد الكشف عن الفوارق البنيوية والدلالية والوظيفية بينهما. وسيتم توظيف أدوات التحليل البنيوي والتداولي لقراءة هذه الفوارق في ضوء وظائف اللغة وأدوارها التواصلية داخل المجتمع المغربي.

المثال الأول: "قلبوا على العقار لي كتمناو وحصلوا على قرض يناسبكم 100% رقمي"[11]

المكون الدارج	الأصل الفصيح	التحليل البنيوي والدلالي
قلبوا	ابحثوا	من الفعل (قلّب) بمعنى (بحث بدقة) والفعل على صيغة الأمر للجمع ذكورا وإناثا، مع حذف الألف الفارقية. أما من حث الدلالة فإن فعل (قلّب) غير مناسب ولا يمكن أن يكون مرادفا للفعل (إبحثوا) في هذا السياق
على	على	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أنه على المستوى الدارجي تُنطق العين ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية
العقار	العقار	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أن النطق على المستوى الدارجي حُذفت ألف الوصل ونُطقت اللام ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية
لي	الذي/التي	أداة ربط تؤدي وظيفة الاسم الموصول في جميع حالاته
كتمناو	تتمنون	فعل مضارع مكون من: (كا) وهو حرف المضارعة في الدارجة، والفعل (تمناو) فتم تحوير بنيته الصرفية وحُذفت نونه الإعرابية
وحصلوا	واحصلوا	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أن النطق على المستوى الدارجي حُذفت ألف الوصل ونُطقت الحاء ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية الفصيحة
على قرض	على قرض	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أنه على المستوى الدارجي تُنطق العين في (على) ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية، أما (قرض) فحُمِّلت الجزم بدل الجر.
يناسبكم	يناسبكم	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أنه على المستوى الدارجي تُنطق الياء ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية الفصيحة
100% رقمي	رقمي مئة بالمئة	من حيث البنية تم توظيف اصطلاح رقمي مع تأخير المتقدم وتقديم المتأخر.

يتبين من خلال تحليل العبارة الإشهارية: "**قلبوا على العقار لي كاتمناو وحصلوا على قرض يناسبكم 100% رقمي**" أنّ الكتابة بالدارجة لا تقتصر على استبدال مفردات عربية فصيحة بأخرى دارجة، بل تتجاوز ذلك إلى تحويرات صوتية وصرفية ونحوية تُنتج بنية لغوية مغايرة تمامًا للبنية المعيارية للفصحى.

فعلى المستوى الصوتي، يظهر إسكان الحروف المتحركة كما في (عْلى، يْناسبكم)، وحذف همزات الوصل كما في (العقار ← لْعقار)، إضافة إلى نقل بعض الحروف عن مخارجها الأصلية(نطق الضاد دالا)، وهذا التحوير الصوتي يُفقد العربية إحدى ركائزها الجمالية والوظيفية، وهي الانسجام الإيقاعي القائم على الحركة والإعراب.

أما على المستوى الصرفي، فيبرز استعمال بادئة المضارعة الدارجة (كا) في (كاتمناو)، وحذف النون الإعرابية، واستعمال أدوات وصل عامة مثل (لي) بدل الأسماء الموصولة المتمايزة في العربية الفصيحة (الذي، التي، الذين). وهو ما يدل على تبسيط صرفي يختزل البنية ويحوِّل اللغة إلى نظام أقل تمايزًا ووظيفية. وعلى ، ويتجلى المستوى النحوي في غياب الإعراب وحذف الحركات بشكل تام، بل تُحمّل بعض الأسماء حركات غير مطابقة للنسق الفصيح كما في كلمة (قرض) التي جاءت مجزومةً في موضع الجر، وهذا ما يعكس تفكك النظام النحوي الفصيح أمام منطق التداول الشفهي للدارجة.

تُظهر هذه العبارة نموذجًا واضحًا لعملية التسطيح اللغوي التي يشتغل عليها الخطاب الإشهاري، حيث يُستعاض عن البنية الفصيحة المعيارية ببنية دارجية مبسّطة تخاطب الذائقة اليومية للمستهلك بهدف التأثير والإقناع. غير أن هذا التبسيط يسهم في إضعاف الحسّ اللغوي بالعربية الفصيحة وفي خلق هوية بصرية جديدة للغة تُطبع بالابتذال والاختزال، مما يؤدي على المدى البعيد إلى تآكل مركزية اللغة العربية الفصيحة باعتبارها لغة معرفة ورمزًا ثقافيًا وهوياتيا.

المثال الثاني: "ديروا LIKE لهاد المنشور"[12]

المكون الدارج	الأصل الفصيح	التحليل البنيوي والدلالي
ديروا	ضعوا/ فعّلوا	الفعل الدارجي (دار) بترقيق الراء أصله في اللغة العربية (أدار) أي سيّر، وللفعل (دار) معاني أخرى في الدارجة منها ما يفيد (إفعل).
LIKE	أعجبني	لفظة باللغة الإنجليزية أصبحت مصطلحا تقنيا تواصليا
لهاد	لهذا/ لهذه	اختزال صوتي عبر الدمج بين حرف الجر (اللام) واسم الإشارة (هذا) مع إضافة الألف مطابقةً للنطق واستبدال الذال بالدال
المنشور	المنشور	تطابق في الشكل والمعنى، إلا أنه على المستوى الدارجي تُنطق اللام ساكنة وهذا ما يتنافى مع "منطق" اللغة العربية الفصيحة

تكشف العبارة الإشهارية "**ديروا LIKE لهاد المنشور**" عن مستوى أكبر من التهجين اللغوي، حيث تتجاور في الجملة الواحدة الدارجة المغربية واللغة الإنجليزية والعربية الفصيحة دون ضوابط معيارية تضبط العلاقة بين هذه المستويات؛ فالفعل "ديروا" يُسند إلى أصل دارجي يختزل البنية الفصيحة للفعل ويُحمِّله معنى وظيفيًا عامًا («افعلوا»)، وهو ما يعكس تبسيطًا دلاليًا وصرفيًا يفرغ الفعل من دقته المعجمية. أمّا لفظة "LIKE" فهي دخيل معجمي مُستَمدّ من اللغة الرقمية، تُستعمل كما هي دون تعريب أو تكييف صوتي، مما يجعلها علامة على التداخل الثقافي والتقني الذي يعيد توجيه الذائقة اللغوية نحو وحدات لغوية أجنبية ذات حمولة رمزية عولمية. أما فيما يتعلق بصيغة "لهاد"، فإن دمج حرف الجر مع اسم الإشارة في وحدة صوتية واحدة يعكس نزوع الدارجة إلى الاقتصاد اللغوي وتقليل البنية المورفولوجية، وهو ما يقف على النقيض من التمييز النحوي والدلالي الذي تمتاز به العربية الفصيحة في استعمالها لأدوات الإشارة. أما كلمة "المنشور"، وإن كانت فصيحة من حيث أصلها المعجمي، فإن طريقة نطقها الدارجة (إسكان اللام) تخرجها من النظام الفصيح إلى نظام تداولي شفهي لا يعترف ببناء الحركة والإعراب.

ومن ثم، فإن توظيف هذه الجملة في سياق الإشهار لا يكتفي بتبسيط اللغة، بل يسهم في إنتاج هوية بصرية هجينة للغة، تتراجع فيها مرجعية العربية الفصيحة أمام منطق التداول الرقمي اليومي. وتكمن خطورة هذا التحول في أنه يجعل الدارجة – بما تحمله من اختزال صوتي وصرفي– نموذجًا كتابيًا مألوفًا، وهو ما يؤدي تدريجيًا إلى إضعاف الملكة اللغوية الفصيحة وإلى تشويه صورتها الإدراكية في الوعي الجماعي، خصوصًا لدى المتعلمين.

المثال الثالث: "عيشوا تجربة زبون تماما مبتكرة"[13]

المكون الدارج	الأصل الفصيح	التحليل البنيوي والدلالي
عيشوا	عيشوا	مطابقة في البناء والدلالة
تجربة	تجربة	مطابقة في البناء والدلالة مع الالتزام بتسكين الأخير في النطق الدارجي
زبون	زبون	مطابقة في البناء والدلالة مع الالتزام بتسكين الأخير في النطق الدارجي
تماما	تماما	مطابقة في البناء والدلالة
مبتكرة	مبتكرة	مطابقة في البناء والدلالة

يختلف المثال الثالث "**عيشوا تجربة زبون تماما مبتكرة**" عن الأمثلة السابقة من حيث درجة اقترابه من العربية الفصيحة؛ إذ إن عباراته في معظمها مطابقة لبنية العربية من حيث الصرف والدلالة (عيشوا، تجربة، زبون، تماما، مبتكرة). غير أنّ هذا القرب الشكلي يخفي ظاهرة دقيقة على مستوى الأداء الصوتي والإيقاعي تمثلت في تسكين أواخر الكلمات تبعاً لنسق النطق الدارج، حيث تتحول الكلمات إلى بنى صوتية مبتورة تفقد بذلك جزءاً من إيقاع العربية الفصيحة وموسيقاها.

إن هذا التحوير الإيقاعي ليس مسألة نطقية بسيطة، بل هو مؤشر على انتقالٍ تدريجي للدارجة من الشفوية إلى المكتوبة ضمن مجالات التواصل الجماهيري والإشهار، فالعبارة تُحافظ على المفردات العربية الفصيحة، لكنها تُقدَّم للمتلقي بإيقاع دارجي، ما يجعل القارئ يستقبلها لا باعتبارها عربية فصيحة، وإنما باعتبارها دارجة مكتوبة بحروف عربية. وهذا يرسّخ مع الوقت نموذجًا كتابيًا بديلاً يُنافس النموذج الكتابي العربي المعياري. ومن ثمّ، فإن هذا الاستخدام – رغم خلوّه من المفردات الأجنبية أو التركيب غير القياسي– يسهم في تطبيع الكتابة بالدارجة ويجعلها تبدو مكافئاً مشروعاً للفصحى في الخطاب الإشهاري. وهذا من شأنه:

1. إضعاف الاعتياد البصري على العربية الفصيحة بوصفها اللسان الكتابي المهيمن.
2. تشويه النسق الإيقاعي للغة العربية عبر تعميم التسكين الدارج في السياق المكتوب.
3. إحداث انزياح تدريجي في تمثلات المتلقي حول ما يعتبر لغة "رسمية" أو "مؤهلة" للخطاب العام.

وبذلك، يُظهر المثال الثالث أن الخطر لا يكمن فقط في المفردات الدارجة أو الدخيلة، بل أيضاً في تمرير البنية الصوتية والإيقاعية للدارجة في الكتابة، وهو ما يمهّد لتغيير عميق في الهوية البصرية والمعيارية للعربية.

في ضوء تحليل الأمثلة الثلاثة يتبيّن أن حضور الدارجة في الخطاب الإشهاري المكتوب لا يقتصر على مستوى المفردات فقط، بل يمتدّ إلى البنية الصوتية والإيقاعية وصياغة الجملة، فالانتقال من الشفوي إلى المكتوب يُعيد تشكيل الهوية البصرية للعربية ويُضعف حضور نموذجها المعياري لدى المتلقي، كما يؤدي تكرار هذا النسق إلى ترسيخ الكتابة بالدارجة باعتبارها بديلاً مشروعاً للعربية في الفضاء العام، وينتج عن ذلك إضعاف القدرة على تعلم العربية الفصيحة واستعمالها في السياقات الرسمية. وبذلك تصبح الحملات الإشهارية وسيطاً فعّالاً في تغيير الذوق اللغوي الجماعي وإعادة توزيع القيمة بين الفصح والدارج.

2.2 انعكاسات خطة التدريج على اللغة العربية والهوية المغربية

تمثل الدراسة السالفة جزءا بسيطا ومثالا حيا عن التحول الكبير الذي شهده الفضاء اللغوي المغربي في السنوات الأخيرة، والمتمثل في الانتقال بالدارجة من حيّز الشفوي إلى مجال الكتابة، ولا سيما في الخطاب الإشهاري ووسائل الاتصال الحديثة. ويُعدّ هذا التحول من أبرز مظاهر التبدل في وظائف اللغة داخل المجتمع، إذ لم تعد العربية الفصيحة وحدها هي اللسان الكتابي المهيمن، بل أخذت الدارجة تكتسب شرعية جديدة عبر التداول المكثف في المشهد البصري العمومي، غير أنّ هذا الحضور المكثف للدارجة المكتوبة لا يتم بشكل محايد، بل ينطوي على انعكاسات معرفية وتربوية وثقافية عميقة تمسّ جوهر الهوية اللغوية للمجتمع. فالكتابة بالدارجة تحوّل البنية الصوتية والصرفية والنحوية للغة نحو نموذج مبسّط ومختزل، الأمر الذي يضعف الحس اللغوي المعياري لدى المتلقي، ويؤدي بالتالي؛ إلى تراجع مرجعية الفصيحة باعتبارها لغة التعليم والإدارة والمعرفة. كما يسهم هذا التحول في إعادة تشكيل الهوية البصرية للعربية داخل الفضاء العام، بحيث تصبح الفصيحة أقل حضورًا وأقل ارتباطًا بالكتابة اليومية. ومن ثمّ؛ فإن دراسة انعكاسات هذا التحول ليست مجرد رصد لظاهرة لغوية، بل هي تحليل لمسار تغيّر يمسّ البنية العميقة للهوية الثقافية المغربية ولعلاقة المتعلم بلغته الوطنية.

إنّ اللغة والإعلام متلازمان في تشكيل الكيفية التي تُبنى بها الحقيقة ويجري فهمها من قبل المتلقين، وانطلاقًا من التحليل الخطابي النقدي يتبيّن أنّ اللغة المستعملة في وسائل الإعلام، سواء في الإعلانات التقليدية أو في محتوى المؤثّرين، ليست محايدة ولا عفوية، بل إنّ كل اختيار لغوي أو أسلوبي ينطوي على حمولة أيديولوجية، ويجسّد افتراضات معيّنة بخصوص الجمهور المستهدف، وهوياته، وأذواقه، وقيمه، ومواقعه داخل البنية الاجتماعية.[14]

إضافة إلى ذلك؛ فإن التوجّه نحو اعتماد لغة محلية غير رسمية يثير تساؤلات مهمة تتعلّق بالتمثيل والشمولية، فبالرغم من أنّ المحتوى القائم على الدارجة قد يلقى صدى واسعًا لدى فئات كبيرة من المغاربة، إلا أنّه قد يُقصي أو يهمّش فئات أخرى لا تتماهى مع هذا المستوى اللغوي، مثل المتحدثين بالأمازيغية أو الذين يفضّلون العربية الفصيحة لأسباب اجتماعية أو تعليمية. ومن ثمّ؛ فإنّ الاختيارات اللغوية في الإعلام تُعيد إنتاج تقسيمات اجتماعية ومعايير ثقافية معيّنة، وهو ما يحدد من يُنظر إليه كجزء من الجمهور المتخيَّل، ومن يبقى في الهامش. وبذلك؛ تكون اللغة الإعلامية قد شاركت بصورةٍ فعّالة في تشكيل الواقع الاجتماعي وبناء الهويات وإعادة توزيع علاقات القوة. كما أنه في ظل التحولات الاجتماعية والتكنولوجية التي يشهدها المغرب اليوم؛ فإن الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام في التفاوض حول القيم والمعايير الثقافية يزداد أهميةً وتعقيدًا.[15]

في ضوء ذلك؛ يظهر أنّ توظيف الدارجة المغربية في الخطاب الإشهاري لا يقتصر على تحقيق القرب والتواصل الفعّال مع المتلقي، بل يمتد ليؤثر في البنية الرمزية للغة العربية ومكانتها في الوعي الجمعي. فالدارجة؛ حين تُقدَّم بصفتها اللسان الأكثر تمثيلاً لـ"الحياة اليومية" و"الواقع"، تصبح بديلاً عمليًا عن العربية الفصيحة في مجالات التعبير العام، مما قد يسهم تدريجيًا في تقليص حضور الفصحة في الفضاء العمومي، ويعيد رسم حدود ما هو "رسمي" وما هو "شعبي". كما أنّ هذا التحوّل ينعكس على الهوية اللغوية والثقافية للمغاربة، إذ يرتبط اختيار اللغة في الإعلام بتمثلات الهوية والانتماء والقيمة الاجتماعية. فكلما ترسّخت الدارجة كبوابة أساسية للوصول إلى الجمهور، اتسعت الهوة الإدراكية بين المتلقي واللغة الفصيحة، وهي اللغة الحاملة لتراث معرفي وديني وتاريخي عميق. ومن ثمّ، فإنّ هيمنة الدارجة في الإشهار قد تسهم في إعادة

تشكيل الوجدان الثقافي باتجاه أنماط أكثر آنية وسطحية، على حساب عمق المرجعية العربية الإسلامية التي تمثلها اللغة الفصيحة، ما يجعل النقاش حول اللغة في الإعلام نقاشًا حول الهوية قبل أن يكون مجرد نقاش لغوي.

تزامنا مع حركة التدريج التي يشهدها الخطاب الإشهاري ووسائل التواصل الحديثة بالمغرب، هناك مقترح يسعى إلى تقنين "اللغة الأم" إي الدارجة المغربية واعتمادها في التعليم الأولي بالمدارس العمومية، وهو ما أثار نقاشا حادا بين صناع القرار والسياسيين والتربويين واللسانيين، إذ يرى المدافعون عن تدريس الدارجة المغربية في التعليم الأولي أنّ اعتماد "اللغة الأم" يشكّل مدخلًا تربويًا فعّالًا للرفع من جودة التعلمات، ويستند هذا الموقف أساسًا إلى طرح نور الدين عيوش الذي يؤكد أنّ الدارجة تمثّل لغة التواصل الرئيسة لأكثر من 89% من المغاربة، الأمر الذي يجعلها أكثر قربًا من الطفل في سنواته الأولى. ويعزّز عيوش موقفه بالإحالة إلى توصيات اليونسكو (2008) التي تشير إلى أنّ التعليم ب"اللغة الأم" يسهم في تحسين التحصيل الدراسي ويُسهل عملية الإدماج المدرسي. ويدعم هذا الاتجاه كلّ من خليل مغرفاوي الذي يرى أنّ إدراج الدارجة في التعليم لا يستهدف إقصاء العربية الفصيحة، بل يهدف إلى الاعتراف بمكانة الدارجة في النسق اللغوي المغربي، وأحمد نجيم الذي يصف الدارجة بأنها لغة ذات قرب وجداني وثقافي من المتعلم، مما يجعلها قادرة على التأثير الإيجابي في عملية التعلم، ولا سيما في المراحل الأولى التي يتعرض فيها المتعلم لصعوبة الانتقال من لغة البيت إلى لغة المدرسة.[16]

في المقابل، يرفض عدد من المفكرين والفاعلين التربويين هذا التوجه، ومن بينهم عبد الله العروي الذي يذهب إلى أنّ الدارجة ليست مؤهلة لتكون لغة للمعرفة والتعليم، لكونها غير مكتوبة وتفتقر إلى الثروة المعجمية اللازمة للإنتاج الأكاديمي، ويرى العروي أنّ وظيفة المدرسة لا تقتصر على التواصل الشفهي، بل ترتبط أساسًا بالكتب المدرسية والنصوص المكتوبة التي لا يمكن للدارجة أن تؤدي دور الوسيط بينها وبين المتعلم. وينضم إلى هذا الموقف كلّ من فؤاد أبو علي ومقرئ أبو زيد، اللذين يؤكدان أنّ المسألة ليست تربوية فحسب، بل تمسّ البعد الثقافي والسياسي؛ إذ يعتبران أنّ اعتماد الدارجة محاولة لتفكيك الوحدة اللغوية للمغاربة وتجريدهم من ارتباطهم بالعربية الفصيحة التي تمثل وعاء التراث العربي الإسلامي، بما في ذلك الموروث الديني والأدبي والمعرفي.[17]

إنّ اعتماد الدارجة لغةً للتعليم يحمل في طيّاته مخاطر على الهوية الثقافية والدينية التي تشكّل اللغة العربية الفصيحة أحد أهم حواملها التاريخية والمعرفية، فالعربية ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي لغة القرآن والعلوم الإسلامية والأدب والتراث الفكري الذي أسهم في بناء الوعي الجمعي للمغاربة عبر قرون، ويمكن للتخلّي التدريجي عنها في المدرسة أن يؤدي إلى إضعاف الارتباط بالمصادر الأصيلة للمعرفة، وإلى تشويش في البنية اللغوية لدى المتعلم نتيجة الانتقال بين أنظمة لغوية غير موحدة، كما أنّ اعتماد لغة محلية ذات تنويعات جهوية قد يفتح الباب أمام مزيد من التفكك اللغوي والثقافي، بما يهدد الوحدة الرمزية التي تمثلها العربية الفصيحة في المجتمع والتي تمتاز بقدرتها على الجمع بين الأصالة والحداثة، وامتلاكها لمكانة مؤسساتية ومعجمية راسخة تسمح بإنتاج المعرفة وتداولها داخل المدرسة وخارجها.

خاتمة

يتبيّن من خلال محاور هذا البحث أنّ مسألة الازدواجية اللغوية في المغرب ليست مجرّد ظاهرة لغوية معزولة، بل هي مجال تتقاطع فيه اعتبارات معرفية وثقافية وهوياتية وسياسية. فقد أظهرنا من خلال تتبع مفهوم الازدواجية اللغوية في الدراسات اللسانية والسوسيولسانية أنّ العلاقة بين العربية الفصيحة والدارجة علاقة مركّبة، يختلف فيها الاستعمال والمقام والوظيفة. كما بيّنت مناقشة إشكالية المعيارية في الدارجة أنّ هذه الأخيرة، على الرغم من انتشارها الواسع كلغة تواصل شفهي يومي، تفتقر إلى الأسس المعيارية والنسقية التي تخول لها أن تضطلع بدور اللغة العلمية والمعرفية المكتوبة؛ وهو ما يجعل الدعوة إلى تقنينها أو اعتمادها في التعليم مسألة تستدعي كثيرًا من التريث والمساءلة الموضوعية.

وقد خلُصت الدراسة التطبيقية حول حضور الدارجة في الإعلانات إلى أنّ استعمالها في مجال الإعلام والدعاية يستند إلى قدرتها على خلق قرب وجداني مع المتلقي، وعلى تحقيق فعالية تواصلية مباشرة. غير أنّ هذا الحضور، إذا امتد إلى المجال التعليمي والمؤسسي، قد ينعكس سلبًا على مكانة اللغة العربية الفصيحة، لما للدارجة من خصائص بنيوية وصوتية وصرفية لا تؤهلها لحمل المعرفة العلمية أو تمثيل الرصيد الحضاري الممتد الذي تحمله اللغة الفصيحة. كما أنّ المغرب، في واقعه اللساني، لا يتوفر على دارجة واحدة موحّدة، بل على تنويعات جهوية متعددة، مما يجعل اعتماد إحدى هذه التنويعات معيارًا لغويًا موحدًا أمرًا ذا تبعات ثقافية واجتماعية تمس وحدة النسيج الهوياتي الذي أسهمت العربية في ترسيخه عبر قرون.

وبناءً على ذلك، يتضح أنّ الخيار الأمثل للحفاظ على الهوية المغربية ولضمان الاستمرار في الإنتاج العلمي والثقافي هو تعزيز موقع اللغة العربية الفصيحة بصفتها نسقًا لغويًا موحدًا حاملاً للمعنى والمعرفة والتراث، مع الإقرار بأهمية الدارجة بوصفها لغة للتواصل اليومي يمكن توظيفها بوصفها دعامة موازية، لا بديلًا عن الفصحى. إنّ الرهان الحقيقي ليس في إقصاء إحدى اللغتين لصالح الأخرى، بل في بناء تصور لغوي متوازن يعترف بالأدوار الوظيفية لكل منهما ضمن مشروع ثقافي وتعليمي يعزز الهوية ويستجيب لمتطلبات العصر.

الهوامش:

[1] إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. السعودية. الطبعة الأولى 1417هـ. 1996م. ص 19.

[2] محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج. إندونيسيا. الطبعة الثانية، 1438هـ. 2017م. ص 72.

[3] نفسه. ص72- 73.

[4] إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض-السعودية. الطبعة الأولى 1417هـ. 1996م ص 85- 86.

[5] Faido Simanjuntak & Hilman Haidir & Mhd. Pujiono, DIGLOSSIA: PHENOMENON AND LANGUAGE THEORY. European Journal of Literature, Language and Linguistics Studies, Volume 3, Issue 2, 2019. P 62

[6] Faido Simanjuntak & Hilman Haidir & Mhd. Pujiono, DIGLOSSIA: PHENOMENON AND LANGUAGE THEORY. European Journal of Literature, Language and Linguistics Studies, Volume 3, Issue 2, 2019. Pp 60-61

[7] Abdellah CHEKAYRI, Diglossia or Triglossia in Morocco: Reality and Facts. Árabe marroquí: estudio, enseñanza y aprendizaje, Cádiz, 27-28 de abril de 2006. P 51-52

[8] Abdellah CHEKAYRI, Diglossia or Triglossia in Morocco: Reality and Facts. Árabe marroquí: estudio, enseñanza y aprendizaje, Cádiz, 27-28 de abril de 2006. P 50

[9] نفسه. ص 50-51

[10] Abdellah CHEKAYRI, Diglossia or Triglossia in Morocco: Reality and Facts. Árabe marroquí: estudio, enseñanza y aprendizaje, Cádiz, 27-28 de abril de 2006. P 51

[11] موقع بنك التجاري وفابنك https://www.attijariwafabank.com/ar بتاريخ 2025/11/03

[12] الصفحة الرسمية لشركة اتصالات المغرب على فايسبوك بتاريخ 2025/10/25

[13] موقع البنك الشعبي https://bpnet.gbp.ma/ بتاريخ 25/11/03

[14] DOUNIA EL MAMSAOUI, THE RISE OF DARIJA IN MOROCCAN DIGITAL ADVERTISING: LANGUAGE, IDENTITY, AND THE POWER OF INFLUENCE. Isagoge, v.5, 2025. P 205

[15] DOUNIA EL MAMSAOUI, THE RISE OF DARIJA IN MOROCCAN DIGITAL ADVERTISING: LANGUAGE, IDENTITY, AND THE POWER OF INFLUENCE. Isagoge, v.5, 2025. Pp205-206

[16] Rabia Redouane, Debate over the Use of Mother Tongue Moroccan Arabic (Darija) in Early Instruction. Journal of Education & Social Policy June 2024, Vol. 11, No. 1, P 55

[17] نفسه. ص 55